الدرس (04): ترجمة المصطلح الصرفي

تمهيد:

هناك عدة مصطلحات صرفية أجنبية عمد الباحث العربي إلى ترجمتها وتعريبها، بما في ذلك مصطلحي الصرف، والتصريف، وغيرهما، وذلك في سياق الاحتكاك الثقافي اللساني، فبالإضافة إلى الميزان الصرفي العربي بكل ما يتمتع به من مفاهيم وتصورات ثرية، أقبل أهل البحث اللغوي عندنا على مكاشفة ما توصل إلى علم الصرف الحديث لدى الأمم الأخرى، وإن كانت الإفادة محدودة نظرا لاختلاف البناء بين العربية وغيرها من اللغات.

الصرف والتصريف:

بالرغم من أن العرب الأوائل كانت لهم جهود الطيبة في هذا الباب إلا أن الباحث العربي المعاصر أقبل على علم التصريف الغربي يطلع على مفاهيمه، ويذكر مصطلحاته حاله في ذلك حال اتصاله بمختلف المعارف والعلوم اللسانية.

المفهوم اللغوي:

وردت لفظة "الصرف" في المعجم العربي بعدة معاني لغوية؛ غير أن أقربها للاصطلاح ما جاء في لسان العرب من القول بأن: «الصَّرْفُ: رَدُّ الشيء عن وجهه، صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفاً فانْصَرَفَ ... وصَرَّفَ الشيءَ: أَعْمله في غير وجه كأَنه يَصرِفُه عن وجه إلى وجه»[1].

وردّ الشيء على وجهه؛ جعله بأكثر من وجه، وتصريفه من وجه لآخر، وفي جميع حالته يقوم على التغيير، والتحويل، والتبديل، ويقع على الكلمة المفردة وقوعه على الشيء، وهذا هو المعنى اللغوي الأول لمصطلح الصرف ولا يبتعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي.

المفهوم الاصطلاحي:

الصرف أو التصريف في الاصطلاح يفيد معنى «التغيير الذي يتناول صيغة الكلمة وبنيتها؛ لإظهار ما في حروفها من أصالة وزيادة، أو صحة وإعلال أو غير ذلك. ويختص بالأسماء المتمكنة (أي المعربة) والأفعال

[1]– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج9، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت.ط)، مادة (صلح)، ص189.

المتصرفة، وأما الحروف وشبهها من الأسماء المبنية والأفعال الجامدة والأسماء الأعجمية فلا تعلق لعلم التصريف بها»[1].

والتصريف من الصرف؛ ويشتمل في الاصطلاح على معاني «الزيادة، وقَلب، وبَدَل، ونَقْل، وحَذْف، وإدغام»[2]، وكل هذه المباحث تقوم على إلحاق التغيير بالكلمة، حتى توافق وجهة المعنى، فيستقيم بها وتُفهم به وهي غاية التصريف، ومطلبه المنشود.

والتصريف فن من فنون صناعة المعنى، له مقدمات تعين على فهمه وإدراكه، شأنه في ذلك شأن غيره من مباحث اللغة ومستوياتها؛ حيث تحمل «المقدمة الأولى للتصريف معنيان لغوي واصطناعي؛ فاللغوي جعل الشيء في جهات مختلفة، قال تعالى: "تصريف الرياح"؛ لأن مهابها مختلفة، ومعناها الصناعي تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعاني مقصودة لا تحصل إلا بها؛ مثال ذلك: أن ضربا، إذا أردت منه مثال الماضي قلت ضرب، وتقول في مثال المضارع يضرب، وفي مثال الأمر اضرب، وفي اسم الفاعل ضارب، وفي المبالغة فيه ضروب وضرّاب، وفي المفعول مضروب، وفي تكثير الفعل ضرّب، وفي وجود الحركة مع الفعل اضطرب»[3].

وقد عمد "الجرجاني" إلى تقديم تعريف مبسط لفعل التصريف مبيّنا صلته بالصرف؛ فقال: «اعلم أن التصريف "تفعيل" من الصّرف؛ وهو أن تصرِّف الكلمة المفردة، فتتولد منها ألفاظ مختلفة، ومعان متفاوتة»[4]، وهذا ما يحقق للغة اكتنازها في اللفظ والمعنى.

وقد عرفت اللسانيات العربية الصرف بمباحثه المتعددة علما مستقلا، بعد أن كان يُطرق تحت عباءة الدرس النحوي قديما، وبالنسبة لموضوعه «فقد حدد اللغويون القدماء مجاله، فذكروا أنه لا يدرس إلا الكلمة المتصرفة، ولا يتناول ما جمد من الكلمات، كالأدوات والأفعال الجامدة، وبعض الأسماء التي لا تتصرف»[5].

---

[1]– محمد فاضل السامرائي، الصرف العربي أحكام ومعاني – كتاب منهجي يجمع بين الأحكام الصرفية ومعاني الأبنية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2013، ص9.

[2]– ابن معطي، الفصول الخمسون، تح. محمود محمد الطناحي، دار الكتب، 1977، ص262.

[3]– ابن الخباز أحمد بن الحسين بن أحمد، الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية في علم العربية لابن معطي، بخط علي ابن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمود بن مودو محمود بن بلدجي، مكتبة جامعة الرياض – قسم المخطوطات، ورقة 124.

[4]– عبد القاهر الجرجاني، كتاب المفتاح في الصرف، تح. علي توفيق الحمد، كلية الآداب جامعة اليرموك، إربد، عمّان، ط1، 1987، ص 26.

[5]– محمد خير حلواني، المغني الجديد في علم الصرف، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (د.ت.ط)، ص14.

وعلم الصرف في الاصطلاح لفظ يطلق على مفهومين أساسيين في الوقوع على الكلمة؛ أحدهما بمعنى التحويل، والثاني بمعنى التغيير؛ «الأول: تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة؛ لأداء ضروب من المعاني كالتصغير والتكسير، والتثنية والجمع، وأخذ المشتقات من المصدر، وبناء الفعل للمجهول، وغير ذلك. الثاني: تغيير الكلمة عن أصل وضعها لغرض آخر غير اختلاف المعاني، ويسمى هذا التغيير بالإعلال، وينحصر في ستة أشياء: الحذف والزيادة والإبدال والقلب والنقل والإدغام»[1].

وبالرغم من التقارب القائم بين تحويل والتغيير فإن الكلمة لا تكتفي بأحدهما دون الآخر، بل تعتمد عليهما معا في انصرافها إلى أكثر من وجه، طلبا للمعنى المقصود، وإن اختلفت مظاهر هذا التحويل والتغيير فإن الكلمة تبقى عاجزة عن أداء المقاصد الدلالية المرجوة دونهما.

الميزان الصرفي:

ومن المصطلحات الصرفية التي درج الباحث العربي على استعمالها مصطلح الميزان الصرفي، ولكل لغة ميزان صرفها؛ حيث «تنطلق فكرة الميزان الصرفي من قياسية الصيغ اللفظية في اللغة العربية، إذ لا يوزن إلا ما كان له شكل محدد، وأصول ثابتة معروفة من المكونات»[2].

والميزان مصطلح تراثي يكاد يقترن بمصطلح تراثي آخر ألا وهو مصطلح الصناعة، والصرف صناعة يعرفها أهل العلم، الأقدر على ضبط ميزانها؛ على أساس أن «لكل أهل صناعة ميزان يضبطون به ما يصنعون، ومعيار أو قانون يصنعون صناعتهم على نمطه، ليروا قدر ما صنعوا، أو ليجعلوا ذلك أساسا ومنهجا لعملهم، ولم يكن علم الصرف بدعا في هذا، ولا شاذا عن غيره، فقد اتخذ علماء العربية فيه ميزانا يضبطون به أصول هذه اللغة، كما احتاج الصائغ إلى الميزان ليعرف مقدار ما يصوغه؛ وبذلك يعرف العلماء حقيقة الكلمة الموزونة اسما وفعلا، وما طرأ على كل منهما من زيادة أو نقص، وما تحرك من أحرفهما وما سكن، وما تقدّم منها وما تأخر»[3].

ويستمد الصرف أهميته في الدراسات اللسانية من كونه ميزان اللغة، ولكل لغة ميزانها الذي تتميز به من بين سائر اللغات؛ ولهذا كان الصرف «علم العربية، ومقياسها الموحّد، وهو ما يعرف بالإنجليزية

[1]- أمين علي السيد، في علم الصرف، دار المعارف، ط2، 1972، ص5-6.

[2]- محمد خير حلواني، المغني الجديد في علم الصرف، ص68.

[3]- عبد اللطيف محمد الخطيب، المستقصى في علم التصريف، ج1، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2003، ص47.

(Morphology)، يتعامل مع الكلمة وتركيبها، عن طريق التحليل إلى أصغر عناصرها الصرفية، واضعا في كنانته ما تؤديه هذه العناصر من ضروب الوظائف»[1].

ويكاد مصطلح الميزان الصرفي يقترب من مصطلح المعيار؛ بمعنى القانون أو القاعدة؛ والأقرب منها دلالة مصطلح الوزن، وهي مفاهيم إن افترضنا فيها الاختلاف فإنها حاضرة لكي تشكل ميزان الصرف في الدرس اللغوي العربي.

ترجمة المصطلح الصرفي:

علم الصرف أو التصريف مصطلح لغوي عربي، يقابله مصطلح مورفولوجيا تعريبا للمصطلح الأجنبي (morphologie)، و«المورفولوجيا علم يعالج "طوائف" الكلمات أو أقسامها، وأشكال التحول فيها؛ هي تصريف الفعل (la conjugaison)، وصرف الاسم (la déclinaison)»[2] .

وإذا كانت المعاني تُعرف بأضدادها، والعلوم والمعارف تُعرف بمصطلحاتها، فإنها تُدرك أيضا من مجال بحثها، ودائرة اختصاصها، وبالنسبة لعلم المورفولوجيا (morphologie)؛ فـ «هو الذي يتولى دراسة بنية الكلمة، وقد وضعته الدراسات العربية تحت عنوان (علم الصرف) أو (علم التصريف)، وأريد به معرفة أحوال البنية التي ليست بإعراب، وهي في الواقع طرق اشتقاق الكلمة العربية بالمعنى الواسع الذي يضم إلى جانب استخراج المشتقات معرفة معاني الصيغ، واستخدام الزوائد في صوغ الجموع وغيرها»[3].

وبالنظر إلى موضوع علم المورفولوجيا؛ الذي يتمثل في دراسة الكلمات أو المفردات من حيث بنيتها، وأحوالها كان أقرب ما يكون لعلم الصرف؛ وإذا كان هذا حال العلم فإنه حال المصطلح أيضا؛ إذ «بذلك يقترب معنى (الصرف) من معنى مصطلح (المورفولوجيا) في الدراسة اللغوية الحديثة»[4].

---

[1]– عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار الأزمنة، 1998، ص41.

[2]– عصام نور الدين، المصطلح الصرفي مميزات التذكير والتأنيث، الشركة العالمية للكتاب – دار الكتاب العالمي – مكتبة المدرسة، ط1، 1988، ص72.

[3]– عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية – رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1980، ص24.

[4]– نفسه، ص23.

وقد كان للصرف النصيب الأوفى في الدرس اللغوي العربي منهجا ومصطلحا، شأنه في ذلك شأن النحو، على سبيل ضبط القواعد، وتقييد الأحكام، كما تعددت بحوثه في طرق مختلف القضايا والمسائل المتعلقة بالتصريف، في اتصالها المباشر بما يُعرف بالنظام الصرفي.

يقوم النظام الصرفي في اللغة العربية على مجموعة من الوحدات، شأنه في ذلك شأن باقي الأنظمة الصرفية اللغوية في العالم، إلا أن مدار الاختلاف حول طبيعة هذه الوحدات أو الأقسام، وهنا تظهر جليا خصوصية كل لغة تجاه غيرها؛ وبالنسبة للعربية فلا يخرج تصريفها عن الوحدات الآتية[1]:

1- المعاني الصرفية التي يتشكل بعضها من تقسيم الكلم، ويتشكل بعضها الآخر من تصريف الصيغ.

2- مجموع المباني التي تأتي على شكل صيغ مجردة، بعضها لواصق، وبعضها زوائد وبعضها أدوات.

3- مجموع العلاقات العضوية التي تقوم على الربط بين المباني؛ ويترتب عنها قيم الخلافية أو مقابلات نتيجة الاختلاف بين هذه المباني.

والمباني الصرفية أو الوحدات الصرفية مصطلح لغوي عربي يقابله في اللغة الأجنبية مصطلح (morphemes)؛ الذي انتقل هو الآخر إلى العربية بواسطة التعريب فأصبح يفيد دلالة مصطلح مورفيم؛ أما عن المقصود بالمباني الصرفية؛ فهي «تعبر عن المعاني الصرفية الوظيفية ... وأن هذه المباني نفسها أبواب تندرج تحتها علامات تتحقق المباني بواسطتها لتدل بدورها على المعاني، فالمعاني الصرفية والمباني من نظام اللغة، ولكن العلامات المنطوقة أو المكتوبة تنتمي إلى الكلام»[2].

يحيلنا هذا الطرح إلى أن مصطلح "مورفيم" يفيد معنى المبنى الصرفي أو الوحدة الصرفية، وتقابله الحروف بوصفها مباني صوتية، أو وحدات صوتية، وهذا ما ذهب إليه الباحث تمام حسان؛ وعقب على مذهبه الباحث "عصام نور الدين" فقال: «المباني المأخوذة من النظام الصوتي حروف (Phonème)، وهي في النظام الصرفي "وحدات صرفية" (Les morphèmes)؛ أي أنه جعل مصطلح "الوحدات الصرفية" مقابلا للمصطلح الأوروبي "مورفيم"»[3].

[1]- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص82.

[2]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص82.

[3]- عصام نور الدين، المصطلح الصرفي مميزات التذكير والتأنيث، ص60.

وإذا كانت الحروف "فونيمات" أو وحدات صوتية في النظام الصوتي، وفي الوقت نفسه هي "مورفيمات" أو وحدات صرفية في النظام الصرفي الذي يفترض فيه الاشتغال على الكلمة، فإن هناك خللا ما لا يتصل بدلالة المصطلح في سياقه المعرفي المحدد بقدر ما يتصل بتداخل المفاهيم أحيانا التي قد تصلح للغة الأجنبية دون اللغة العربية.

وإذا كان علم الصرف قد ارتبط بعلم النحو عند العرب قديما، فإنه معني بالمفردات بخلاف علم التراكيب ولهذا «أطلق الغربيون مصطلح (phonology) على التصريف، أما التركيب القواعدي (grammatical) فهو ما يعرف بنظم الوحدات اللغوية في مجموعات أو تراكيب»[1].

وقد اتصل علم الصرف حديثا بعدة معارف خاصة الصوتيات أو علم الأصوات؛ حيث أقبل الدرس اللساني على الجمع بينهما في كثير من أبحاثه وتصوراته؛ خاصة تلك التي تُعنى بالتصريف بوصفه نظاما؛ وفي هذا السياق «يطلق المحدثون من علماء الدرس الصرفي – الصوتي على التصريف "النظام الصرفي" (Morphological system)»[2].

إن هذا الاحتكاك المعرفي بين مختلف العلوم اللغوية بما في ذلك الصرف والنحو والصوتيات يدل على الطبيعة الشاملة للكفاية اللغوية، وأن الفصل بين هذه المستويات لا يكون إلا في البحث والدراسة، أما الممارسة فهي مزيج بين كل هذا خدمة لتبليغ المعنى بجميع معطيات اللغة الممكنة، وبالنسبة للمصطلح الصرفي فشأنه شأن المصطلحات اللغوية الأخرى في الخضوع للنقل بواسطة الترجمة أو التعريب كما سبق وذكرنا.

[1]- عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص31.

[2]- نفسه، ص40.